مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث	الموضوع : المؤتمر الدولي للسكان و التنمية		الرقم :
	المصدر : الصحافة ـ تونس	موقع الواب :	البلد : تونس
	التاريخ : 2012		العدد و [ص] :

أسئلة نطرحها...

لعلّ من أسوإ ما يحصل عليه المهتمون بالشأن التنموي وواضعو الاستراتيجيات والخطط والبرامج للنهوض بواقع المرأة ومكانتها ودورها داخل المجتمعات العربية، بعد دورات ومؤتمرات وورشات ومجهودات كبيرة في هذا المجال، أن يجدوا أنفسهم إثر ثورات انطلقت من تونس من أجل الحرية والكرامة وضد التهميش يرددون مع محمد عبد الوهاب «أنا من ضيع بالأوهام عمره».

أفهل تسأل كيف؟

انظر الى العالم العربي اليوم، وقل لي ما الذي تغير؟ أين يوجد مشروع للتقدم أو التحديث يمكن الثقة باستقرار أدواته؟ هل هناك مشروع واضح أراد أن يراكم على جملة الإنجازات والمشاريع التي حصلت في مجال التنمية والسكان والنهوض بمكانة المرأة إنجازات أخرى؟ أين يوجد مشروع تنهض مقوماته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدستورية والثقافية مع بعضها البعض من دون أن تتناحر احداها مع الأخرى؟ أين توجد دولة قانون ومؤسسات وقيم متوازنة؟ ما الذي يجعلنا نستمع في وسائل إعلامنا الى خطاب يدعو الى التخلف؟ لماذا أصبحنا نسمح بتكوين أحزاب تقوم على استعباد المرأة وتزويج الطفلة وحرمان المرأة من العمل وجعلها تابعا؟ بل أين توجد دولة تفكر بمعالجة مشكلاتها الاقتصادية والإجتماعية من خلال الإستئناس بتوصيات المؤتمرات الدولية والإقليمية حول السكان والتنمية بحثا عن مخارج وخيارات جديدة؟ وهل ثمة من حاجة الى القول إن دول الصراعات والتناحرات السياسية العنيفة وغيرها لا تستطيع، بسبب من طبيعتها بالذات، أن تفكر بأي مستقبل أصلا؟

والكثير من الأسئلة ما يزال معلقا. والكثير من الأجوبة ما يزال يثبت كل يوم أنه لا يقدم حلولا حقيقية لمشكلات التخلف، فبينما كان سفور المرأة وحريتها ومساواتها معيارا، نتعارك من أجله من معايير التقدم، هاهن النساء في بغداد والقاهرة ودمشق وحتى في تونس يتحجبن ويتنقبن وكأنهن يقلن لنا :«فشلتم ولم نعد نريد حرية».

ثمة نوع من «التقدم» في بعض العالم العربي، لا يتطلب تقدما ولا إحصاء لشيء. فقط مزاعم. والمزاعم قد تكفي لتوفير عشاء لوحوش التطرف والتخلف إلا أنها لا تكفي لإغماض الأعين عن الواقع الذي أصبحنا نراه.

انظر الى المرأة السورية وما أصبحت تعانيه في ظل الفوضى وبفعل الحرب الأهلية، أصبحت تباع وتشترى، الى حد أن الأيمة في بعض الدول العربية قد حللوا «سبيها».

انظر الى تونس هذه الدولة التي كنا نعتقد أن المرأة محصنة فيها ثقافيا وتشريعيا ضد ثقافة التحجر. لم تصل تمثيليتها مثلا في المشهد السياسي الى مرتبة التناصف المتفق عليها بل إن بديهية مساواتها مع الرجل شهدت نقاشا طويلا لم ينته بعد. وحيث كنا نعتقد أن قوى التخلف التي تريد إعادة المرأة الى كهوف الظلام لن تجد في المرأة التونسية الا عدوا. هاهن فتياتنا يرتمين في أحضان الزواج العرفي من باب التدين وتحصين الفروج.

وبدلا من صعود هويات وطنية على أسس المساواة بين المواطنين، انتهينا لصعود هويات طائفية، بعضها مغلق ومنعزل، وبعضها يريد أن يقتل على الهوية، وبدلا من إقامة دولة القانون، أقمنا أحياء عنف وفوضى وبدلا من تحدي تقدم العالم بتقدم نصنعه بأنفسنا فقد صرنا نتحدى

العالم بتصدير العنف، وبدلا من استثمار القليل من الموارد الطبيعية فقد بددنا فوقها حتى الموارد البشرية، فتحولت الهجرة من بلداننا الى ملاذ أخير ونهائي للآلاف من الخبرات التي كان يفترض أن نرفع بهمتها جهود التنمية.

لقد كشف الواقع العربي بعد الثورات التي حصلت أننا خسرنا حتى القليل مما أمكن تحقيقه على صعيد الإستراتيجيات التنموية وحقوق المرأة. وقد تصلح الإستراتيجيات والتوصيات في المستقبل ولكن ما يتم هدمه وإعادة تشكيله على مستوى الأفكار والعقليات لا يمكن بناؤه الا بعد جيل أو أكثر.

وهنا وجب التذكير الى وسائل الإعلام وخطورة دورها في ذلك؟

الشيء الأكيد هو أن المؤتمرات والورشات لم تنته ولن تنتهي ولكن السؤال الذي يسأل عنه المشرفون عنها ومموليها هل حصل المقصود؟ هل هم في المسار الصحيح؟ أم لا بد من إعادة النظر في طرق العمل؟ أم أن هناك عوامل خارجية لا يمكن التغاضي عنها؟

الشيء المؤكد هو أنه بالنتائج تقاس الأمور وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. المؤتمرات قد تكون نواد ممتازة للكلام.

ولكن المفتاح هو تحقيق النتائج، إعلاء البناء، إرساء الأساس بعد الآخر للتقدم الإقتصادي والرخاء الإجتماعي والاستقرار السياسي.

هذه النتائج هي من أهداف مؤتمرات السكان والتنمية. لماذا لا يراها حكامنا في الوطن العربي؟

لأنهم ببساطة، لا يفكرون في مستقبل شعوبهم.